المصاحف القرآنية والسماحة الإسلامية ؛ دراسة تاريخية

Al-Qur'an and Islamic Tolerant: Historical Studies

Nur Faizin Muhith

Pesantren Bahrul Ulum, Getung, Turi, Lamongan, Jawa Timur
e-mail: nurfaizin@gmail.com

ملخص البحث

توصل الكاتب في بحثه وتنقيبه في التراث الإسلامي المتعلق بتاريخ القرآن الكريم، إلى إظهار أبعاد التسامح الإسلامي القرآني وكيفية التأسّى على قبول الآخر المختلف، وذلك في أهم مقدسات المسلمين وهو ما يتعلق بكلام الله تعالى. فمن خلال المنهج التاريخي بدأ الكاتب الباحث يبحث حتى يعثر على أبعاد التسامح الإسلامي الكثيرة المختلفة الجوانب التي تظهر من خلال تاريخ القرآن ومصاحفه. ومن تلك الجوانب: جانب التنوع والاختلاف في أحرف القرآن التي نزل عليها من فوق سبع السموات، وجانب كتابته على أنواع الموادّ المتيسرة حينذاك، وجانب كثرة مصاحفه وفروقها والكتب المؤلفة في بيانها، وغيرها من الأبعاد والجوانب المهمة الأخرى. وخلاصة الكلام أن المسلمين يتمسكون بمبدأ المشاورة حتى في الأمور المتعلقة بكلام الله عز وجلّ، كما أنهم يلتزمون بروح التسامح الديني المتغلغل في الإسلام بوجه عام وفي تاريخ المصاحف القرآنية على سبيل الخصوص.

الكلمة المفتاحية : مصاحف، تاريخ القرآن، سماحة

Abstract

In his research on the history of the Holy Qur'an, the writer has been able to show the dimensions of the Qur'anic Islamic tolerance and how to establish the acceptance of the other, in the most sacred of the Muslims, which is related to the words of God. It is through the historical approach that the researcher began to search until he finds the dimensions of the many different Islamic tolerance aspects that appear through the history of the Qur'an and its mysteries. Among these aspects: the diversity and variance in the letters of the Qur'an that came down from above the seven heavens, and the side of writing on the types of materials available at the time, and the side of the multitude of synonyms and differences and books written in the statement, and other dimensions and other important aspects. In summary, Muslims adhere to the principle of consultation even in matters related to the words of God. They also adhere to the spirit of religious tolerance that permeates Islam in general and in the history of Qur'anic Koran in particular.

Keywords: muṣḥāf; history of al-Qur'an; tolerant

المقدمة

إننا شاهدنا في هذه الأيام الأخيرة حوادث مؤسفة وكوارث مخزية من الاختلافات بين المسلمين مع أصحاب أديان أخرى، فقد سجّلت اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان (Komnas HAM) أكثر من خمسمائة حادثة كلها حدثت باسم عدم التسامح في الدين والتدين،[1] بل وقد أصابنا – نحن كشعب إندونيسيا- اختلافات وتناقضات بين المسلمين أنفسهم داخل مجتمع واحد مثل كارثة "السنّي والشيعة في مادورا جاوة الشرقية"، وفي الحقيقة فإن مثل هذا الاختلاف مما لا بأس به بل هو رحمة من عند الله سبحانه - إذا لم يسبّب القتال والقتل بين المسلمين وبين أعضاء المجتمع الواحد، فقد كثر عدد القتلى والجرحى، وكم كانت خسارات مالية يعانيها مجتمعنا بسبب مثل تلك الكارثة.

ومن أجل تقوية روح السماحة وقبول الخلاف بين المسلمين أنفسهم ثم بينهم وأصحاب الأديان الأخرى المعترف بها في بلدتنا إندونيسيا المحبوبة، ينبغي أن نطالع ونراجع مرة أخرى إلى تراثنا الإسلامي وهو ثريّ بدروس مفيدة لروح سماحة الإسلام والمسلمين و هو أيضا غنيّ بعِبرٍ مقوّية لموقفنا بقبول الآخرين المختلفين معنا. ومن ذلك التراث تاريخنا الإسلامي الذي سجّل ما اختلف المسلمون فيه حول المصاحف القرآنية. مثل اختلافهم في قراءة نصوص قرآنية، وقد أدّى خلافهم ثم اختلافهم إلى أن كادوا يتقاتلون ويقتل بعضهم بعضا، إلا أن روح السماحة بينهم ما زالت قويّة والأخوة الإسلاوية متّحدة مع الأخوة الوطنية، فلم يحدث أمر مؤسف ولم يُحلّ دم من دماء المسلمين مع أن ذلك الاختلاف كان يتعلق بأقدس مقدساتهم، اَلَا وهو القرآن الكريم.

---

[1] http://www.tempo.co/read/news/2013/05/24/173482926/Komnas-HAM-Toleransi-Beragama-Indonesia-Memburuk - accessed 11 September 2016.

إن تاريخ المصاحف القرآنية مليئ بدراسة عن السمحة والمسامحة، وذلك منذ أن يسمح الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكتب كل صحابيّ جميع ما يسمعه من وحي القرآن ويجعل كتابته مخصوصة لأنفسهم بينما يمنع عليه الصلاة والسلام أصحابه من كتابة الحديث النبويّ حيث يقول : مَنْ كَتَبَ عَنِّيْ غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ (رواه مسلم)، وتستمر مثل هذه السماحة إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بأن يرسل مصحفا موافقا للقراءة المشهورة عند كل مصر من أمصار الإسلام وكان عثمان بن عفان يرسل مع كل مصحف من تلك المصاحف قارئا من القرّاء المتخصصين، وذلك بعد نسخها من المصحف الإمام الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه في خلافته.

المصحف الإمام وكتابة القرآن

المصحف الإمام هو عبارة عن الجمع والتدوين للنصوص القرآنية في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ثم في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني، فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر بن الخطاب[٢].

هنا نلاحظ كيف كانت مرونة الإسلام حيث اقترح عمر بن الخطاب نما لم يفعله

[٢] انظر : الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ص: ١٩٠٧.

الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يقل أحد من الصحابة إنها بدعة ضالة يصير فاعلها في النار مثل ما نسمعه كثيرا في أيامنا الراهنة، بل ولو قالوا لكان ذلك بدعة حسنة ومحمودة. مع أن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم كان ينصبّ على القرآن من أول نزوله سواء كان بالحفظ في الصدور أوالكتابة في السطور؛ فمن جانب الحفظ، كان الصحابة أمة يضرب بها المثل في قوة الحافظة وصفاء الطبيعة، وكانت رؤوسهم دواوين شعرهم وسجل أنسابهم وأن قلوبهم كانت كتاب وقائعهم، فلما أسلموا استخدموا هذه الميزة في حفظ القرآن على ظهر قلوبهم. ومن ناحية أخرى فإن أغلب تلك الأمة أميّون حتى إنهم عرفوا بأمة أميّة، أي : أمة لا تعرف القراءة ولا الكتابة، وهذا في الحقيقة مما يزيد قوة ذاكرتهم. ومعلوم أن الحال عند نزول القرآن لم يتيسر فيها قراطيس ولا دفاتير ولا صحائف فكانوا يكتبون القرآن على موادّ متيسرة لهم من رقاع[٣] وعسبٍ[٤] ولخاف[٥] وأكتاف[٦] وغيرها.

ومن تلك الرواية نعرف أن سبب هذا الجمع البكري هو أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يُدوّن القرآن في مصحف واحد على الترتيب المعهود الموافق للعرضة الأخيرة، وأن الصحابة كتبوالمصاحف الخاصة لأنفسهم رغم أنها لاتقوم مقام المصحف الذي جمعه أبو بكر بصفته كخليفة المؤمنين، وأنه من الممكن أن يكتبَ بعضُهم بعض السور دون بعض أو بعض الآيات دون بعض حسب ما يتيسر لهم أو حسب قدرتهم على الحفظ والتمكن، فيكتب كل واحد منهم ما يصعب على حفظه فقط، فلذلك وقع الإختلاف في مصاحف الصحابة الخاصة أي التي كتبوها لأنفسهم.

---

[٣] قطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق، وهو غالب ما كتب عليه الوحي

[٤] جريد النخل، كان العرب يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض

[٥] صفائح الحجارة

[٦] عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان

ولكن مع كل هذا الاختلاف كانت المصاحف التي كتبها الصحابة واشتهرت بين الناس – وذلك قبل الجمع والتدوين في خلافة أبي بكرالصديق- لا تنفي وجود مصحف جمعها أبو بكر، فممن كتب المصاحف من الصحابة علي بن أبي طالب وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرأصحابه أن يضعوا آية كذا في الموضع الذي ذكر فيه كذا، يقول زيد : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم نؤلف القرآن من الرقاع.[٧] وقال السيوطي : أول من جمع القرآن في مصحفٍ سالمٌ مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى جمعه فجمعه.[٨] كما كان الصحابة يفعلون ذلك قبل الجمع البكريّ.[٩]

لقد سجّل تاريخ تراثنا أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن وفهم معانيه، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظه حتى إنه حرّك لسانه قبل أن ينتهي جبريل من القراءة خشية أن ينسي شيئا ولكنّ الله نبّهه على ذلك قائلا ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾[١٠] وكان الصحابة رضوان الله عليهم أيضا حريصين على أن يحفظو القرآن، فمنهم من حفظ جميع القرآن ومنهم من حفظ معظمه أو بعضه ومن اليقين أن عددهم قد بلغ حدّ التواتر بل أضعاف التواتر وخاصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه

---

[٧] أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرجاه، انظر : المستدرك،الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص : ٤٣/٣.

[٨] انظر : الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٦٢/١.

[٩] انظر : تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٧، ص ١٤٦.

[١٠] سورة القيامة : ١٦-١٩

وسلم. ومع ذلك كله فهم يتسامحون ويتفاهمون باختلاف بعض شيء من مصاحفهم -إن صحت الرواية-.

وهذا المصحف الذي جمعه أبو بكر رضوان الله عليه يتميّز بأمور من أهمها : أنه جمع الأحرف السبعة كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لم يوجد أيّ داع للتوحيد على حرف واحد كما يقال في الجمع العثماني .وأنه مرتب الآيات كما هو معروف الآن بخلاف مكتوبات الصحابة الخاصة بأنفسهم فإن السور والآيات فيها غير مرتبة مثلهما اليوم ضرورة كونها في العسب والأكتاف والرقاع ونحوها. وكونها على حسب ما تيسّر لهم.[١١]

كان عمر رضي الله عنه خاف أن يضيع كثير من القرآن بسبب مقتل بعض الصحابة في اليمامة[١٢]، وهذا الخوف منه ينشأ من أن يُقتل القرّاء في سائر الحروب والقتال في المواطن الكثيرة، سواء قد وقع كحرب اليمامة أولم يقع أو مجرّد أن يُتَوقّع الوقوعُ. يقول العيني في شرحه للحديث : قوله في المواطن أي المواضع التي سيغزو فيها المسلمون ويُقتل ناسٌ من القرّاء فيذهب كثيرٌ من القرآن.[١٣] يقول أبو شهبة : إن عمرَ الفاروق رضي الله عنه الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه، خشي أن يكثر القتل في القرّاء في بقيّة المواطن وربما كان عندهم شيء من القرآن فيضيع بموته.[١٤] ومما يزيد خوفه وفاة سالم مولى أبي حذيفة

---

[١١] انظر : مدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢٦٧. ومنهج الفرقان في علوم القرآن، الشيخ محمد على سلامة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤متحقيق د. محمد سيد أحمد المسير، ١٠٧/١.

[١٢] See: Taufiq Adnan Amal, *Rekonstruksi Sejarah al-Quran,* FKBA (Forum Kajian Budaya dan Agama) 200١, p. 65.

[١٣] انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ص: ٢٨١/١٨.

[١٤] انظر : المرجع السابق، ص٢٦٨.

حيث أنه ممن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل.[١٥]

فمما يدلّ على تسامح الصحابة قبل هذا الجمع والتدوين أنهم كتبوا مصاحفهم على الترتيب غير الترتيب الذي علّمهم الرسول صلى الله عليه وسلم به، كما أنهم يتسامحون بكتابة النص القرآني الكريم على أنواع متعددة من الرقاع والأكتاف وغيرها ولم يُلزموا على أن تكون الكتابة على نوع واحد فقط، وكان المصحف الإمام في الحقيقة أيضا مكتوبا على أنواع كثيرة من الأكتاف والرقاع وغيرهما، ومع ذلك لم يحدث أي مشكلة من المشاكل.

مبدأ الشوري في تدوين المصاحف

لقد اختار أبو بكر رضوان الله عليه زيد بن ثابت للقيام بالجمع لكونه رجلا شابا عاقلا غير متّهَم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٦] فقد ورد في البخاري أن أبا بكر قال لزيد : إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول ابن حجر في شرحه : ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك : كونه شابّا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركنُ النفسُ إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له. وهذه الصفات التي

[١٥] أخرجه البخاري في صحيحه، انظر : المرجع السابق، ص : ١٣٦/٣.

[١٦] Taufiq Adnan Amal, *Rekonstruksi Sejarah al-Quran*, p. 145.

اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة.[١٧]

وكان زيد لا يقبل من أبي بكر وعمر فكرةَ الجمع لأول مرّة، فلم يقبل آية الرجم التي جاء بها عمر بن الخطاب –وهو أشدّ هذه الأمة في الحق- لعدم الشهادة عليها وأنها –كما يقول العلماء- من منسوخ التلاوة دون الحكم . روي عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال : اكتبوها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب ، وإن عمر آتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.[١٨] نعم، المبدأ الذي عليه جمع القرآن وتدوينه هو الشورى والشهادة من الآخرين، وليس على مبدأ الإكراه والأنانية، لا من زيد بن ثابت ولا من غيره من الصحابة، فالكل يفهم هذه الحقيقة جيدا.

فلو كان المبدأ هو الإكراه والأنانية لكان عمر بن الخطاب أولى الناس بذلك، لأنه معروف بشدته ورجاحة عقله، ولكنه لم يُلزم الآخرين من الصحابة على قبول ما جاء به من النص القرآني، بل عندما رفضه زيد –وهو أصغر منه سنّا ومكانة- لم يستطع أن يفعل شيئا غير قبول ذاك المبدأ وهو الشورى والإشهاد. ولو كان المبدأ في الجمع والتدوين الأنانية لكان أول من فعل ذلك هو أبا بكر الصديق، حيث كانت الخلافة تحت يديه حينذاك. فإذا كان مثل هذا الأمر متعلّقا بكتابهم المجيد فكيف لا يتشاورون ولا يتسامحون في بقية الأمور الإسلامية والقضايا الدينية؟ نستطيع أن نلخص أنهم يقدمون المشاورة في سائر أمورهم الأخرى.

---

[١٧] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ص: ٩ /١٣.

[١٨] انظر : الإتقان في علوم القرآن ، ص : ١ /١٦٣.

ولقد حدثت مثل هذه الحادثة عند تدوين القرآن ونسخه في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان، قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذٍ في التابوت فقال زيدٌ التابوه وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال أكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش.[١٩] و على الرغم من أن عثمان بن عفان هو الآمر بجمع القرآن في عهد خلافته إلا أنه لم يفعل ما قد فعله من هذا الأمر الجليل إلا بعد أن استشار صحابة رسول الله واكتسب موافقتهم بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم وشكرهم،[٢٠] وقد فعل ذلك على ملأ من المسلمين وإجماع منهم. هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن المبدأ الوحيد بينهم هو الإستشار والمشورة. ولا عجب في ذلك فهم الذين قال الله عزّ وجلّ عنهم : وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (الشورى: ٧٨).

صحيح فقد أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القرآءة بتحويل من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر إلى مصاحف مع بذل المجهود في معارضة ما كان في الصحف بما كان مثبَتا في صدور الرجال، وذلك كله بمشورة من حضره من علماء الصحابة رضي الله عنهم، وارتضاه عليّ بن أبي طالب وحمد أثره فيه.[٢١] ولكن مع ذلك، لم يكن الاختلاف ممنوعا ومحظورا في المصاحف، وعثمان بن عفان لم يقض على اختلاف المصاحف الموجودة، وإن كان الخلاف بين المتخالفين من جيش المسلمين الذين أتوا من أنحاء الأمصار الإسلامية حقيقة حاول عثمان أن يحددها حتى لا يتجاوز الخلاف إلى القتل والقتال.

---

[١٩] أخرجه البخاري، انظر ص : ٤/ ١٠٩١

[٢٠] انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ ، ص :١٨٢/١.

[٢١] انظر : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص: ٦٧.

نعم، فقد كان بعض آراء الشيعة أن القرآن الذى جمعه علىّ، وتوارثه الأئمة من بعده، هو القرآن الصحيح الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرَّف ومبدَّل، حُذِف منه كل ما ورد صريحاً فى فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً فى مثالب أعدائهم ومخالفيهم. وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة، ولهم فى ذلك روايات كثيرة يروونها عن آل البيت، وهم منها براء.[٢٢] ولكنهم حتى الآن ما زالوا على مصحف واحد مثل مصاحفنا اليوم.

مصاحف الأمصار واختلاف القراءات

كانت المصاحف المنسوخة في عهد خلافة عثمان بن عفان أكثر من واحد، والعلماء يختلفون في تحقيق عدد تلك المصاحف، قال أبو عمرو الداني : أربعة مصاحف هو أصح وعليه الأئمة.[٢٣] ووجهت إلى الكوفة والبصرة والشام، وواحد عند الخليفة عثمان، ولكن ربما يرجع هذا القول من أبي عمرو الداني إلى القول بأن عددها ستة؛ لأنه ترك ذكر مصحف أهل مكة مع أنه في صفحات مؤلفاته ذكر كثيرا مصحف أهل مكة، سواء من قوله المباشر أو نقلا عن الآخرين[٢٤] كما ترك أبو عمرو الداني ذكر مصحف أهل المدينة الذي قرأ الناس عليه، وهو المصحف المدني العام. وقد وجّه الزرقاني قول من قال بأنها خمسة قائلا : وذهب السيوطي وابن حجر إلى أنها خمسة، ولعلهما أرادا بالخمسة ما عدا المصحف الإمام، فيكون الخلاف لفظيا[٢٥] وقصد بالمصحف الإمام هنا المصحف الذي

---

[٢٢] انظر : التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٨، ص : ٢٨/٢- ٢٩.

[٢٣] انظر : المقنع في معرفة رسم المصاحف، أبو عمرو عثمان الداني، مكتبة الأزهرية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص : ٢٩.

[٢٤] انظر على سبيل المثال، قال أبو عمرو : وكذلك في مصاحف أهل مكة. ص ٦٣. كما نقل عن الكسائي وأبي عبيد بن سلام أنهما ذكرا مصحف أهل مكة.

[٢٥] انظر : مناهل العرفان، ص : ٢٧٨/١.

احتفظه الخليفة لنفسه، وهو الذي يسمى بالمصحف المدني الخاص.

ونقل أبو شامة قال أبو حاتم السجستاني : إنها سبعة مصاحف، فبعث واحدا إلى مكة، والشام، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وحبس بالمدينة واحدا[٢٦] وقيل : إنها ثمانية خمسة متفق عليها، وهي الكوفي والبصري والشامي والمدني العام والمدني الخاص، وثلاثة مختلف فيها وهي المكي ومصحف البحرين ومصحف اليمن.[٢٧]

والمهم بالذكر هنا أن عدد القراء الذين أرسلهم الخليفة لإقراء الجمهور من تلك المصاحف ستة، وهم زيد بن ثابت إلى المدينة، وعبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام وأبو عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة، وعامر بن عبد القيس إلى البصرة، واختصّ لنفسه مصحفا، ولم تذكر المصادر غير هؤلاء القراء.[٢٨] وكل قارئ من هؤلاء القرّاء يقرأ على قراءة غير قراءة الآخر على نسبة معينة.

وقد امتلأت كتب القرأءات وكتب المصاحف بذكر اختلافات تلك المصاحف العثمانية الستة، وتكون اختلافاتها بالزيادة والنقصان.[٢٩] والقول بأن عدد المصاخف ستة هو ما اختاره الزرقاني، قال : ولعل القول بأن عددها ستة هو أولى الأقوال بالقبول[٣٠] وعلى كل حال، فإن التاريخ قد نقل لنا الحقيقة بأن مصاحف الأمصار، يعنى المصاحف التي أرسلت إلى المدن الإسلامية المذكورة تتضمن على خلاف كثير في قراءته، وذلك على حسب القراءة الراجحة والرائجة في كل مدينة من المدن وفي كل مصر من الأمصار.

---

[٢٦] انظر : المرشد الوجيز، ص : ٧٥.

[٢٧] انظر : مناهل العرفان، نفس المرجع.

[٢٨] انظر : الاختلاف بين المصاحف العثمانية بالزيادة والنقصان، د. توفيق بن أحمدالعبقري، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢، ص: ٦.

[٢٩] انظر : المرجع السابق، نفس الصفحة.

[٣٠] انظر : مناهل العرفان، ص٢٧٨/١.

وقد وضع علماء القراءات ثلاثة ضوابط للقراءة الصحيحة المقبولة، ويقولون : كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، ووافقت العربية ولو بوجه، وصح إسنادها، ولو كان عمن فوق العشرة من القراء، فهي القراءة الصحيحة.[٣١] ونظمها صاحب الطيبة :

وكل ما وافق وجه النحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنادا هو القرآن ... فهــذه الثـلاثة الأركان
وحيثما يختلّ ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في الســبعة[٣٢]

فموافقة الرسم ضابط من ضوابط القراءة الصحيحة، ولكن هذا الشرط لا يجب أن يكون موافقة حقيقية بل يكفي أن تكون الموافقة تقديرية أو احتمالية. وعلم النحو حمّال لأوجه كثيرة. يقول الزرقاني: وصفوة القول أن اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة، أما الذي تختلف فيه وجوه القراءات فإن كان لا يمكن رسمه في الخط محتملا لتلك الوجوه كلها فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر، وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكرّرا بالوجهين في قراءة واحدة وليس كذلك، بل هما قراءتان نزل اللفظ في إحداهما بوجه واحد وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحدة منهما. وكذلك كانوا يتحاشون أن يكتبوا هذا اللفظ في مصحف واحد برسمين أحدهما في الأصل والآخر في الحاشية؛ لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول، أضف إلى ذلك أن كتابة أحدهما في الأصل والآخر

[٣١] انظر : مناهل العرفان، ص٢٨٩/١.

[٣٢] والأبيات الثلاثة أبيات رقم، ١٤، ١٥، و ١٦ من أبيات طيبة النشر في القراءات العشر

في الحاشية دون العكس تحكّم أو ترجيح بلا مرجّح وذلك نحوكلمة (وَصَّى) بالتضعيف و (أوصى) بالهمز.[٣٣]

هذا الكلام البارع للرزقاني أفهمنا جميعا أن الاختلافات في أرسام الحروف والكلمات القرآنية حقيقة تاريخية قد ينسى كثير عنها، فإذا كان هذا شأن كلام الله العزيز الذي ليس فيه إلا الحق، فكيف بشأن كلام البشر الضعيف الذي يخطئ ويصيب في أقواله وأفعاله، وقد يتأثر بنفسيته والظروف المحيطة به، إنه بطبيعة الحال تكون الفرصة لأن نختلف مع الآخرين أوسع وأكثر، فلذا يجب علينا أن نفتح صدورنا للآخرين، ونرحّب من يخالفنا كما نرحب من يتفق معنا.

وقد بيّن العلماء اختلافات تلك المصاحف في مؤلفاتهم الكثيرة وقد بلغ عددها أربعين مؤلفا، وكان طريقة المؤلفين في التأليف على منهجين : الأول، منهج يقوم على جمع الأمثلة المتشابهة في الموضوع الواحد في فصل واحد معين، وبذلك يتألف الكتاب من عدد من الفصول التي تضمّ أوجه الرسم كافة، ومن أمثلة هذا الاتجاه المقنع للإمام أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، والثاني، منهج يرصد الكلمات المرسومة بطريقة لا تطابق النطق، ليذكرها بحسب ورودها من السور، وأشهر كتب هذا الاتجاه " التنزيل في هجاء المصاحف لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ).[٣٤]

وهذه هي أسماء تلك الكتب (١) اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق، لابن عامر اليحصبى (ت : ١١٨هـ)، (٢) "كتاب في الهجاء" يحي بن الحارث الذمارى ت: ١٤٢هـ)، (٣) "كتاب في المقطوع والموصول" لحمزة بن حبيب الزيات (ت : ١٥٦هـ)، (٤) "

[٣٣] انظر : مناهل العرفان ، ص :١/١٨٠.

[٣٤] انظر : الاختلاف بين المصاحف ، ص : ١٩.

اختلافمصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل ابصرة" لعلي بن حمزة الكسائي (ت : ١٩٩هـ)، (٥) "هجاء السنة" للغازي بن قيس الأنلسي (ت : ١٩٩هـ)، (٦) اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف" للفراء (ت : ٢٠٧هـ)، (٧) "اختلاف المصاحف" لخلف بن هشام (ت: ٢٢٩هـ)، (٨) "المصاحف" لأبي منذر نصير بن يوسف (ت: ٢٤٠هـ)، (٩) "رسم القرآن" لأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٤٨هـ)، (١٩) " هجاء المصاحف" لمحمد بن عيسى بن رزين الأصبهانى (ت: ٢٥٣هـ)، (١١) "هجاء المصاحف" لأحمد بن إبراهيم الوراق (ت: ٢٧٠هـ)، (١٢) "الهجاء" لأحمد بن يحي بن يسار الشيبانى المعروف بثعلب (ت: ٢٩١هـ)، (١٣) "الهجاء والخط" لمحمد بن أحمد بن كيسان النحوى (ت: في حدود ٢٩٩هـ)،(١٤) "الخط والقلم" للمفضل بن سلمة بن عاصم (ت: ٣٠٠هـ)، (١٥) "المصاحف" لأبي عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت: ٣١٦هـ)، (١٦)" الخط والهجاء" لأبي بكر محمد بن السراج (ت: ٣١٦هـ)، (١٧) " الهجاء" لمحمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني (ت: ٣٢٠هـ)، (١٨) " الهجاء" لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت : ٣٢٨هـ)، (١٩) الهجاء" لابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت: ٣٤٧هـ)، (٢٠) "المصاحف" لمحمد بن مقسم العطار (ت: ٣٥٥هـ)، (٢١) "علم المصاحف" لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشتة الأصبهانى (ت: ٣٦٠هـ)، (٢٢) "الدر المنظوم في معرفة المرسوم" لعطاء بن يسار الأندلسي، (٢٣) سبيل المعارف إلى معرفة المصاحف" لأبي عبد الله محمد بن سهل، (٢٤) الهجاء" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت: ٣٨١هـ)، (٢٥)"هجاء مصاحف الأمصار" لأحمد بن عمار المهدوى (ت: ٣٤٠هـ)، (٢٦) " البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان" لأبي عبد الله محمد بن يوسف معاذ الحهنى (ت: ٤٤٢هـ)، (٢٧) "المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار" لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، (٢٨) التحبير" للداني أيضا، (٢٩) التنزيل في هجاء المصاحف" لسليمان بن نجاح الأندلسي (ت: ٤٩٦هـ) ولعله مختصر لكتابه. (٣٠)

التبيين لهجاء مصاحف أمير المؤمنين"، (٣١) "المنصف في علم الرسم" نظم الشيخ أبي الحسن على بن محمد المرادى (ت: ٥٦٣هـ)، (٣٢) "كتاب في المصاحف" لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت: ٥٦٩هـ)، (٣٣) "عقلية أتراب القصائد في أسنى المقاصد" للإمام الشاطبي القاسم بن فيرُّه الرعيني (ت: ٥٩٩هـ)، (٣٤) " الوسيلة إلى كشف العقلية" للإمام السخاوي (ت: ٤٤٣هـ)، (٣٥)" جميلة أرباب المراصد" للإمام برهان الدين الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)، (٣٦) مورد الظمآن" وهي أرجوزة مستوعبة لمحمد بن إبراهيم الشريشى المشهور بالخراز (ت: ٧١٨هـ) وعليها شروح منها: (فتح المنان بمورد الظمآن" لعبد الواحد بن عاشر الأنصاري (ت: ١٠٤٠هـ)، (٣٨)"دليل الحيران" لإبراهيم بن أحمد المرغنى، (٣٩) " عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" لابن البنا المراكشى (ت : ٧٢١هـ)، (٤٠) "روضة الطرائف في علم رسم المصاحف" لبرهان الدين الجعبرى (ت: ٧٤٢هـ)، (كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار، لمحمد بن محمود السمرقندى (ت: ٧٨٨هـ)، (الظرائف في رسم المصاحف" للإمام المحقق ابن الجزري (ـ: ٨٣٣هـ)، (٤٣) كميت الأقران في كتب القرآن" للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ).[٣٥]

وكان أول كتاب ألف في بيان اختلاف المصاحف العثمانية في أوائل القرن الثاني من الهجرة حيث كتب ابن عامر اليحصبي (المتوفى ١١٨هـ) كتابا بعنوان "اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق"[٣٦]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الاختلاف بين مصاحف الأمصار قد حدث بالفعل مما يؤكد لنا أن الإسلام دين التسامح وأن قرآنه الكريم كتاب التسامح أيضا.

[٣٥] انظر : الاختلاف بين المصاحف ، ص ١٩–٢٣.

[٣٦] انظر : الفهرست، ص ٥٤، نقلا عن المرجع السابق، ونفس الصفحة. ولكن للأسف أن هذا الكتاب من جملة الكتب المفقودة.

ومن ناحية أخرى فهناك اختلافات في القراءات تدلّ دلالة واضحة أيضا على أن القرآن يسمح بالخلاف في قراءته وفي الأحكام التي يحتوي عليها. فعلى سبيل المثال: قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ ﴾[البقرة : ٢٢٢] فقد قرأ الإمام حمزة والكسائي وأبو بكر يَطْهُرْنَ بتشديد الطاء والهاء، والأصلُ: يَتَطَهَّرْنَ، فأُدغم. والباقون: "يَطْهُرْنَ" مضارع طهُر. قالوا: وقراءةُ التشديد معناها يغتسلْن. وقراءةُ التخفيف معناها ينقطع دمهنّ.[٣٧]

ولو اكتفي بإحدى القراءتين، وهي قراءة "يطّهّرن" بالتشديد لزال الخلاف بين الفقهاء، فقد انبنى الخلاف في حكم قربان المرأة الحائض ووطؤها بعد الطهر على اختلاف القرائتين، فعند أبي حنيفة لا يحل بانقطاع الدم على قراءة "يَطْهُرْن"، وعند الشافعية لا يحل إلا بالاغتسال بعد الطهر، ويؤيده قراءة التشديد "يطّهّرْن". واختلاف الأئمة رحمة من الله تعالى للأمة.

النتائج

إن القرآن ومصاحفه ممتلئ بدراسات حول التسامح عند اختلاف الآراء والأفكار، كما أن القرآن وتاريخ مصاحفه يحتوى على كثير من المواقف الإرشادية تبين لنا كيفية القبول للآخر، وكذلك تاريخ كتابتها، وتنوع قراءاتها منذ أن نزل به جبريل عليه السلام إلى أن صار مكتوبا في الرقاع والأكتاف وكل ما تيسر في ذلك الوقت. وهذا التنوع والاختلاف في القرآن، وكتابته، ومصاحفه، وقراءة حروفه بين الصحابة والمسلمين عامة

[٣٦] انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، بيروت، ص : ٤٢١/٢–٤٢٢.

إلى يومنا – يدلّ على سماحة الإسلام وقبوله للخلاف مع الآخرين؛ لأنه إذا تسامحوا في كتابهم الكريم فلا بدّ أن يتسامحوا في غيره من الأمور المتعلقة بدينهم وتديّنهم مع مختلف الآراء بل مع مختلف الأديان.[]

المراجع

- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، بيروت: دار ابن كثير، بدون سنة
- الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد اللهالمستدرك ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٩٩.
- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨.
- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- محمد أبو شهبة ، مدخل لدراسة القرآن، القاهرة : مكتبة وهبة، ٢٠٠٠.
- الشيخ محمد على سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- بدر الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧.
- محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

- شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨.

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح صحيح مسلم، بيروت: دار الجيل، بدون سنة.

- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن الآملي الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، القاهرة: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٧.

- إبراهيم عبد الرحمن خليفة، دراسات في علوم القرآن، القاهرة: مكتبة الأزهر، ٢٠٠٧.

- أبو عمرو عثمان الداني، المقنع في معرفة رسم المصاحف، القاهرة: مكتبة الأزهرية، ٢٠٠٧.

- توفيق بن أحمدالعبقري، الاختلاف بين المصاحف العثمانية بالزيادة والنقصان، القاهرة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٢.

- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، بيروت: مكتبة مشكاة الإسلامية، ١٩٨٨.

http://www.tempo.co/read/news/2013/05/24/173482926/Komnas-HAM-Toleransi-Beragama-Indonesia-Memburuk - accessed 11 September 2016.

Taufiq Adnan Amal, "Rekonstruksi Sejarah Al-Quran", FKBA (Forum Kajian Budaya dan Agama) 2001.